أزمة الهوية وأثرها على الرابط الأسري

The Identity Crisis and Its Impact on the Family Bond.

نسيمة طبشوش[1]*

جامعة باتنة 1 (الجزائر)، **الايميل** nacima.tebchouche@univ-batna.dz

تاريخ الاستقبال: 2024/04/28؛ **تاريخ القبول**: 2024/09/27؛ **تاريخ النشر**: 2024/10/25

ملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على واقع الهوية الثقافية العربية والجزائرية في ظل التطورات المتسارعة لتكنولوجيات الإعلام والاتصال ، وما تطرحه من تناقضات قيمية تتصارع فيها قيم الحداثة الوافدة مع القيم المحلية تضع الهوية بمفهومها التقليدي في أزمة.

إن هذه الأزمة تجعل الفرد عاجزا عن تحديد هويته وضبطها، فيشعر بالتشتت وغموض هدفه اضطراب دوره، فينعزل عن الآخرين وتضعف لديه الروابط الاجتماعية بما فيها الرابط الأسري.

لذا سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على انعكاسات أزمة الهوية على الرابط الأسري من خلال الوقوف على مفهوم كل من أزمة الهوية والرابط الأسري ثم عوامل تشكل هذه الأزمة وتجلياتها على الأسرة مع توضيح تغير الرابط الأسري للأسرة الجزائرية الحديثة.

توصلت هذه الورقة العلمية إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الهوية مهددة بالتغيير في ظل ظهور التحولات المجتمعية والعولمة وأنها تشكل نواه لروابط متعددة تساعد على تماسكها داخل النسيج الواحد كالأسرة.

الكلمات المفتاح : أزمة الهوية؛ الرابط الأسري؛ العولمة الثقافية ؛ التغير الاجتماعي ؛ الحداثة.

Abstract:

The current study aimed to explore the reality of Arab and Algerian cultural identity in light of the rapid developments in media and communication technologies. Furthermore, it addresses the contradictory values that emerge, where modern imported values conflict with local values, thereby placing identity in its traditional concept into a crisis.

This crisis renders the individual incapable of defining and regulating their identity, leading to feelings of fragmentation, confusion regarding purpose, and disruption of roles. Consequently, they may become isolated from others, weakening social bonds including family ties.

Therefore, this study aimed to shed light on the implications of the identity crisis on family bonds by examining the concept of both identity crisis and family bond. It also aimed to explore the factors contributing to this crisis and its manifestations within the family, while elucidating the change of family bonds within modern Algerian families.

This scientific paper has reached a set of conclusions, the most important of which are: that identity is threatened by change in light of the emergence of social transformations and globalization, and that it forms the nucleus for multiple bonds that help in its cohesion within the same fabric, such as the family.

Keywords: The Identity Crisis; Family Bond.; Cultural globalization; Social change; Modernity

* **المؤلف المرسل.**

تمهيد

شهدت الأسرة العربية في العقود الأخيرة تحولات اجتماعية وثقافية كبيرة، سيما ما يتعلق بتأثير العولمة وثورة المعلومات التي رافقتها، وقد أدت هذه التطورات إلى تحول سريع في الاتجاهات المجتمعية والقيم الإنسانية، مما أدى إلى تغير في القيم والهويات لتتماشى مع هذا التطور الذي يساير الحديث مع الحفاظ على الثوابت.

إن الحفاظ على الهوية وتعزيزها يشكل حصناً منيعاً يحفظ المجتمعات من التشرذم والانحلال، فتجاهل المساس بالهوية سيضعفها ويفتح الباب أمام فرض نماذج ثقافية بديلة، وبالتالي يشكل ذلك تهديداً للهويات الأقل هيمنة وتأثيراً في عالمنا المعاصر، مما يسمح للهويات الأخرى بالتدخل وإعادة تشكيلها لصالحها، وهذا بدوره يؤدي إلى العديد من المشكلات الاجتماعية أبرزها انهيار الروابط الأسرية .

الأسرة العربية عامة، والأسر الجزائرية خاصة، ليست بمنأى عن هذه التغيرات والأزمات التي تأتي معها، والتي تخلق عددا من المشاكل النفسية والسلوكية، أهمها تلك المتعلقة بالهوية، وما يرافق ذلك من الشعور بالتشتت بين الثقافة الموروثة وتحديات الثقافة والمعلوماتية المستوردة التي أحدثتها العولمة، وتحديات الخصوصية والهوية الثقافية وأثرها على الروابط الأسرية.

ولذلك سنحاول في ورقتنا البحثية هذه الإجابة على الأسئلة التالية: ما مظاهر أزمة الهوية على المستوى الأسري؟ وكيف يؤدي ذلك في تغيير دور الروابط الأسرية؟ ما هي أهم التوصيات لضمان حماية الخصوصية والهوية الثقافية من الانبثاث في الثقافة المهيمنة؟

1. تحديد المفاهيم:

1.1. مفهوم أزمة الهُوِيّة

1.1.1. الهُوِيّة لغة: يعود لفظ "الهُوية" إلى الأصل اللاتيني (Idem) وهو يفيد الشّبه والمماثلة وهو على النقيض مع ما هو مختلف ومتنوّع (التريكي، 2010، صفحة 36)

والهوية في اللغة العربية مشتّقة من الضمير "هو" ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء" هو هو"، أي من حيث تمثله وتحّققه في ذاته، وتميزه عن غيره؛ فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكّتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانه. (الهنائي، 1976)

2.1.1. الهُوِيّة اصطلاحا: الهوية: " مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلي طريقة إدراك شعب ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين وهي ترتكز على مسلمات ثقافية عامة مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع" (إبراهيم عيد، 2001، صفحة 110)

تعد الهوية الإطار أو القالب الذي يشعر الفرد أنه ينتمي إليه مع الآخرين من أبناء مجتمعه أي هي أشبه " بالرابطة القيمية أو شريحة اجتماعية معينة بحيث يرى الفرد نفسه من خلال المجتمع الذي يشاركه نفس القيم والاعتقادات والسلوك" (الجسمي، 2005، صفحة 100)

3.1.1. أزمة الهُوِيّة: هي شعور الشاب بالضياع في مجتمع لا يعينه على فهم ذاته، ولا يشجعه على تحديد دوره في الحياة ولا يوفر له الفرص التي يمكن أن تساعده على الشعور بقيمته في المجتمع (حجازي، 1987، صفحة 121)

وترتبط أزمة الهوية بعدم قدرة الفرد على تكوين تصور ذاتي واضح عن نفسه وما هو المتوقع منه، أو بسبب عدم قدرته على تشكيل تصور واضح للمعايير والمرجعيات التي يتصرف على أساسها، وهدا ما يميز المجتمعات التي تتعرض للتغير الاجتماعي بصفة مستمرة (علي، 2010، صفحة 89)

2.1. مفهوم الرابط الأسري:

1.2.1.الرابط لغة: "رَبَطَ الشيءَ يَرْبِطُه ويَرْبُطُه رَبْطاً، فهو مَرْبُوطٌ،.. ودابَّةٌ رَبِيطٌ: مَربوطة، والمَرْبَطُ: موضع رَبْطها،.. والرِّباطُ والمرابَطةُ: مُلازمةُ ثَغْرِ العَدُوِّ،.. والرِّباطُ: الفُؤَاد كأَنَّ الجسم رُبِطَ به. ورجل رابِطُ الجَأْش أَي شديد القلب كأَنه يرْبُط نفْسَه عن الفِرار يكُفُّه بجُرْأَته وشَجاعته". (ابن منظور، 1999، صفحة 302)

2.2.1. الرابط اصطلاحا: نجد كلمة الرابط في معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا قد تم اشتقاقها في القرن التاسع عشر من الكلمة الانجليزية Band التي تعني الرباط أو الشريط، أي الشيء الذي يربط الأشياء ببعضها (بونت، 2006، صفحة 492)

3.2.1. الرابط الأسري: هي مجموعة من روابط القرابة والنسب التي تربط الأفراد بروابط عضوية واجتماعية متماسكة تلزمهم بأداء الواجبات والمسؤوليات والالتزامات لصالح أبناء القرابة أو النسب الواحد. (خليل عمر، 1994، ص 148)

وهي "العلاقة القائمة بين الزوج والزوجة والأبناء" وتشير أيضاً إلى طبيعة التواصل والتفاعل الذي يحدث بين أفراد الأسرة الذين يعيشون في نفس المنزل، بما في ذلك العلاقة التي تحدث بين الزوجين و بين الأبناء أنفسهم» (عاطف غيث، 1992، ص 43).

يبدأ الترابط الأسري بالرابطة بين الأم والطفل، ويسمى رابطة الأمومة وهي رابطة فطرية لدى الإنسان لأن الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع الذي ينشأ فيه الترابط الأسري مثل روابط الأبوة والأمومة والأخوة والقرابة.

2. أزمة الهوية و تفكك الروابط الأسرية:

1.2. عوامل تشكل أزمة الهوية: تحدث أزمة الهوية عندما يكون الشخص في حالة توتر بين تعريف نفسه والتعامل مع القوى التي تؤثر على هويته، أي أن أزمة الهوية تحدث عندما يكون الشخص غير قادر على تحديد هويته والتحكم فيها، وبالتالي يشعر بأنه مشتت وأن أهدافه غير واضحة، ودوره معطل، فينعزل عن الآخرين وتضعف لديه الروابط الاجتماعية ، بما في ذلك الرابط الأسري.

كما تحدث في المجتمعات التي تشهد تحولاً وتغيراً متتاليا و مستمراً و توضيح العوامل والظواهر التي تقف وراء هذه الأزمة، نذكر النقاط التالية:(كمال أبو المجد، 2002، الصفحات 112-117)

كما أن الانتصار الحاسم للنظام الاقتصادي الحر القائم على قوانين السوق، أعقبه تراجع دور الدولة في عملية الإنتاج والتوزيع، مع ظهور المشاريع الاقتصادية الضخمة وتراجع دور الدولة، ويتضاعف تأثير هذه الظواهر والعوامل على القيم السائدة في تعزيز الحرية الاقتصادية والمنافسة الحرة، في حين يتضاعف تأثير الأقوياء الذين يحتكرون النفوذ على قيم الجماعات التي تستقبل هذا التأثير.

ولعل التهديدات الأكثر وضوحا للهوية العربية والإسلامية بين شباب العالم هي زيادة العزلة والاغتراب وضعف الانتماء الوطني وتعزيز الاستهلاك، والرغبة في الثروة السريعة، والتسطيح الفكري والثقافي، والحد من القدرة على الابتكار.

لا ريب أن غزو الثقافة العالمية المعاصرة لمجتمعاتنا اليوم يخلق فوضى في منظومة القيم ويجرها إلى الأزمات، مما يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار على المستوى الثقافي، وهذا ما يقود إلى ما سمته عالمة الانثروبولوجيا الأمريكية مارغريت ميد M.Mead "عُهرُ الهُوية" (الذوادي ، 1988، صفحة 8)

2.2. تجليات أزمة الهوية في الروابط الأسرية :

1.2.2. في الأسرة الغربية : دخول الثقافة الغربية في فترة أزمة، أثر على كثير من الأشكال الحضارية العربية بما فيها الأسرة ، وقد بين المسيري في كتابة دراسات معرفية في الحداثة الغربية (المسيري ، 2006، الصفحات 110-112) أن هذه الأزمة ظهرت مع بداية مرحلة ما بعد الحداثة في منتصف ستينيات القرن العشرين، أي منذ عام 1965، اتسمت هذه المرحلة بالانفصال بين السلوك الإنساني عن القيم ، وزوال المقدس مع ظهور ثورة الشباب "الهيبيز"، حركة الجنس المطلق أو الحر "Free love movement"، وانتشار معظم مشكلات المجتمع الغربي (تآكل الأسرة، المخدرات، المراهقات الحوامل، الإيدز ،الأطفال غير الشرعيين ، ، الشذوذ الجنسي ...) ، والتي ظهرت تدريجيا بعد هذا التاريخ .

وقد أدى ضعف النزعة المثالية وغياب الأسرة كوسيلة لنقل القيم وإرجاء الرغبات و التطلعات إلى ظهور الفرد المادي ذو البعد الواحد، وانتشار النزعة الفردية والمادية، مما أدى إلى ضعف تمسك الفرد بالحياة الاجتماعية والأسرية، وانشغاله بإشباع رغباته، وتحقيق مزيد من المتعة والانغماس في قطاع اللذة مما أدى إلى تزايد اغتراب الإنسان الغربي عن ذاته وعن بيئته وعن أسرته.

وقد يبين طه عبد الرحمن في كتابه روح الحداثة (عبد الرحمن، 2006، الصفحات 114-117) أن الأسرة ما بعد الحداثية قد انحرفت عن القيم الأخلاقية واتبعت أضدادها مثل إضعاف السلطة الأبوية لصالح الزوجة مما ساهم بانقطاع رابطة الأبوة واستحواذ الأم بالسلطة الوالدية ، لينتهي به الأمر إلى معاملة ابنه كصديق متفهم مداهن أكثر مما يلقنه أفكاره ويوجه سلوكه.

وبذلك يتضح أن القوى التي تدعم بالنظام العالمي الجديد تعمل وفق خطة دقيقة لتدمير المجتمع التقليدي وتقويض الأسرة ممتدة كانت أم نووية، واستبداله بنظام آخر غير قادر بأي حال من الأحوال على القيام بوظيفة الأسرة التقليدية في الحفاظ على الجنس البشري والتنشئة الأسرية، وقد نادت بعض الأصوات في مؤتمرات (القاهرة للسكان وبكين للمرأة) بتكوين أشكال جديدة للأسرة مثل أسرة مكونة من رجل واحد وأطفال ، رجلان وأطفال ، رجلان وامرأة وأطفال، امرأة واحدة وأطفال ، امرأتان وأطفال ، (بشير إمام، 2000، صفحة 60)

تعتبر هذه الأنماط المستحدثة للأسرة ما بعد الحداثية تهديدًا صارخا لبقاء الجنس البشري وإهدارًا للقيم المرتبطة بالقرابة والنسب. ومهما كان الوضع، فإن هذه المطالب لتكوين أسر من هذا النوع هو أهم دليل على حجم الانهيار الذي حل بالثقافة الغربية، ومدى التراجع الذي أصاب المنظومة القيمية في الأسرة ما بعد الحداثة وكل الهياكل الاجتماعية للحضارة الغربية.

وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره، وأنها مؤذنة بفساده فيقول: " ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف...ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط، فيفضي ذلك إلى فساد النوع، إما بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنا ...وإما عدم النسل رأسا كما في اللواط، وهو أشد في فساد النوع...إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد... وإذا فسد الإنسان في قدرته، فقد فسدت إنسانيته، وصار مسخا على الحقيقة." (ابن خلدون، 1999، الصفحات 346-347)

كانت هذه بعض ملامح أزمة القيم في الأسرة الغربية ما بعد الحداثية، وما تعيشه من نزاع بين البقاء والفناء، وإذا كانت الأسرة الغربية تعيش أزمة قيم حقيقية، فلنا أن نتساءل عن وضع الأسرة العربية في عصر العولمة وثورة الإعلام والاتصال .

2.2.2. في الأسرة العربية: تواجه الأسرة العربية اليوم تحديات كبيرة قد تصل إلى ما يصفها البعض بالأزمة ،وتتجلى بعض مظاهر هذه الأزمة في ما يلي :

أ–ضعف الرابط والانتماء الأسري: عرفت الأسرة العربية شكلا من أشكال تفكك الرابط الأسري، ويتجلى ذلك في انحسار سلطة الوالدين وخاصة الأب وفقدانه القدرة على التحكم في سلوك الأبناء وضبط تصرفاتهم، بسبب انشغالهم بالعمل ،والسعي وراء متطلبات الحياة الكريمة لأبنائهم ، كما أن ضعف الترابط والتواصل الأسري يتعلق بالأبناء أنفسهم، حيث يقضون الساعات الطوال في متابعة برامج الفضائيات ، أو تصفح مواقع الانترنت (الزيود ، 2006، صفحة 54)

كما أصبح الأبناء مرجعية لآبائهم فيما يتعلق بالتعامل مع التكنولوجيات الحديثة كالحاسوب والانترنت، وذلك باستشارتهم وطلب مساعدتهم في التعامل مع هذه التكنولوجيا ،وهذا ما ساعد في تراجع دور الأسرة في التنشئة لصالح الإعلام والتقنيات الحديثة كما أدى إلى انحسار معدلات الحوار والتفاعل الأسري، و زاد من رغبة الأبناء في العزلة والابتعاد عن الجو الأسري بسبب انشغالهم بهذه التقنيات.

ب–انتشار النزعة المادية و النفعية: أفرز النظام الرأسمالي في مرحلة توحشه المعاصرة قيم السوق التجاري التي بدأت تتسلل إلى الأسرة العربية وتهدد استقرارها وتماسكها، وأخطر هذه القيم رغبة الجمع و الاستكثار من المال وقيمة المنافسة التي عادة ما تتحول إلى صراع لا يخلو من الرغبة في استبعاد الآخر وتحطيمه بكل الوسائل ما دامت الغاية تبرر الوسيلة، حيث يكون ربح المال هو الهدف التي تستباح من أجله كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

ومن السهل توقع ما يمكن أن تحدثه هاتان النزعتان أن تفكيك للروابط و العلاقات داخل الأسرة، حيث تضعف روح المودة والتقارب العاطفي والتعاون والتضامن، وتحل محلها روابط الصراع والتنافس والتمرد، وهذا ما تدل عليه الإحصائيات التي تشهدها النزاعات القضائية وخارج المحاكم بين الآباء والأبناء وبين الإخوة والأخوات داخل الأسر في معظم البلدان العربية والإسلامية.

ج–تغير النظرة للمرأة وقيمتها في الأسرة: ساهمت وسائل الإعلام والاتصال في تغير النظرة للمرأة في المجتمع العربي فتحت ذريعة الحرية، أصبحت المرأة خاضعة لبيولوجيا الجسد ،وأصبحت قيمتها تتحدد بدرجة إثارتها ومدى جاذبيتها وبما ترتديه من ملابس تبرز مفاتنها وبما تقيمه من وعلاقات متعددة مع الجنس الآخر، حيث تقدمها وسائل الإعلام، وخاصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي والإعلانات كسلعة رخيصة بهدف إغراء الشباب من ناحية، وتقديمها كقدوة للفتيات للاقتداء بها من ناحية أخرى، واستخدامها كوسيلة لتسويق السلع و بيع المنتجات وتحقيق الأرباح، هذا فضلا عن تعمد تهميش وسائل الإعلام لصورة المرأة كأم ومثقفة وعاملة ومنتجة ومربية ومناضلة. (الزيود ، 2006، صفحة 55)

وما زاد الأمر تعقيدا إخفاق بعض الحركات النسائية في دعوتها لتحرير المرأة حيث لم تتبع منهجية سليمة لتحقيق أهدافها فانصب نشاطها كما لو كان معركة أو صراعاً بين الرجل والمرأة، متناسية أن القضايا الحقيقية التي تشغل جل اهتمامها ويجب أن تعطى الأولوية القصوى هي قضايا الأسرة أولاً ثم القضايا الاجتماعية.

د–تراجع دور القيم الحافظة للأسرة: أدى تنامي هيمنة الاعتبارات والتطلعات المادية بين جيل الشباب إلى انتشار ظاهرة العزوف عن الزواج للتهرب من أعبائه والتزاماته، وحيثما تم الإقدام عليه، يكون الكسب المادي في مقدمة مبررات الاختيار الزواجي.

فشيوع الأثرة والأنانية والفردانية بين الزوجين يضعف الرابط الأسري بينهما ويميل كل منهما إلى فك هذه الرابطة عند أول خلاف بينهما، وهو ما يشكل تهديدا بالغ الخطورة على الاستقرار الأسري والأمن الاجتماعي ، ويعصف بمستقبل جيل ألبناء وقيمه الأسرية وهويته الثقافية.

3. الرابط الأسري في الأسرة الجزائرية :

يعد الرابط الأسري المحدد الرئيسي لكيفية تنشئة الأسر لأبنائها، فمن خلال الروابط الأسرية يحدث التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة وتنتقل القيم والمعايير إلى الأبناء، وتتمثل هذه الروابط في علاقة الزوجين فيما بينهما، روابط الأب بأبنائه، روابط الأم بأبنائها ثم روابط الإخوة فيما بينهم .

1.3. الرابط الأسري في الأسرة الجزائرية التقليدية : توسع بوتفنوشت (بوتفنوشت، 1984، الصفحات 45-53) في توضيح أنماط الروابط الأسرية التي تميز الأسرة الجزائرية التقليدية نوردها بتصرف كما يلي:

1.1.3. الروابط بين الزوجين: تميزت هذه الروابط بالتماسك العائلي والتكامل والمساهمة في تطبيق وتدعيم القيم العائلية ولا مكان للصراع والتعارض بين الرجل والمرأة في العائلة التقليدية.

فالرابط الذي يجمع الرجل بزوجته يتميز بطابع الاحترام المتبادل والحشمة حيث يتحرج الرجل من مناداة زوجته باسمها فيكتفي بمناداتها بـ" أم الأولاد" أو "العايلة" ، والرجل لا يعطي أهمية للنزاعات الموجودة بين زوجته وبقية نساء العائلة كالأم أو الأخوات أو زوجات الأخوة ويحرص ألا يخرج سوء التفاهم الحاصل بين النساء خارج حدود المنزل، كما يتجنب الحديث عن مشاكل النسوة في مجالس الرجال، وإلا عرض نفسه للسخرية بالحديث عن موضوع هامشي لا قيمة له كما أن الرجل الذي يحاول أن يميز زوجته عن الأخريات، أو ينصرها إذا أحس أنها مظلومة، يلاقي نقدا عنيفا واستهجانا قويا من طرف أفراد العائلة.

2.1.3. روابط الأم بأبنائها: المرأة في العائلة الجزائرية التقليدية كانت تفرض احترامها من خلال إنجابها للأبناء وخاصة الذكور، وكلما أنجبت المرأة عدد أكبر من الذكور كلما زاد تحسن وضعها في العائلة.

ونظرا لأهمية الذكور في حياة المرأة في العائلة الجزائرية التقليدية فإنها تحيطهم بالحنان والحب والرعاية، والرابطة القوية بين الأم وابنائها هي همزة الوصل التي تربطها مع كل الأفراد الآخرين في العائلة. وعندما يتقدم العمر بهذه الأم التي كرست حياتها عن طيب خاطر لخدمة أسرتها وتربية أطفالها، تجني في النهاية ثمار تعبها وإخلاصها وتضحيتها ويصبح لها جزء من سلطة الأب في العائلة، وتحظى بالرعاية والولاء والاهتمام من جميع أفراد العائلة أبناء وأحفادا وكنات.

3.1.3. الروابط بين الأب والأبناء : (بوتفنوشت، 1984، الصفحات 55-61)

أ. روابط الأب بأبنائه الذكور : يرتبط الأب بأبنائه برابطة قوية من المودة والحنان، فالأب يفتخر بانتماء ابنه إليه، ويتوق إلى أن يظهر ابنه اعتزازه بهذا الانتماء، وأن يظهر الولاء له، وأن يحترم سلطة والده، و ينتظر أن يتصرف الابن وفق القيم العائلية التقليدية ويثبت أنه "ابن عائلة"، ولهذه الغاية يقوم الآباء بتوجيه أبنائهم في سلوكهم وأقوالهم، ويحرصون على دينهم ووعيهم، ويسهرون على تعليمهم القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف، ويحمونهم ويدعمونهم وقت النزاعات في المجتمع، ويجعلون أبناءهم يتقاسمون معهم أعباء العمل ومهمة إدارة وتسيير شؤون العائلة الاقتصادية، وتدبير أمور المعيشة.

ب. روابط الأب ببناته : تعتبر البنات رمزاً لشرف العائلة وطهارتها وعزتها، لذلك فإن الحفاظ على مظهر البنت وشرفها من أهم واجبات الوالدين ويأتي على رأس قائمة الاهتمامات التي تشغل بالهما وتُبقيهما مشغولين حتى تزف البنت إلى عريسها، لذا تهيمن قيمة العرض والمحافظة على الشرف على العديد من الأساليب التي يستخدمها الآباء في التعامل مع بناتهم، منذ الطفولة المبكرة مروراً بجميع مراحل التنشئة الاجتماعية للفتاة.

و تدفع هذه القيم بالآباء أن يحذروا فتياتهم من القفز أو ممارسة الألعاب القاسية خوفًا من فض غشاء البكارة، ويؤكد الأهل للفتاة أنهم إذا اكتشفوا عدم عذريتها في ليلة زفافها فإنهم لن يترددوا لحظة في قتلها، وذلك لأن عذرية البنت هي الوسيلة الوحيدة لإثبات أنها عفيفة وأنها صانت شرفها وعرضها ولم تلطخ سمعة العائلة .(دياب، 1980، صفحة 276)

لذا يحرص الأب بمعونة أبنائه الذكور على اتخاذ عدة احتياطات احترازية لضمان طهارة ابنته الجسدية وعفتها الجنسية، فكانوا يمنعون البنات من استخدام مستحضرات التجميل قبل الزواج، فلا يضعن الكحل في عيونهن أو ينتفن شعر حواجبهن أو يستخدمن الصبغات أو المساحيق، لدرجة أن الفتيات كن يشعرن بالحرج من تمشيط شعرهن أو النظر في المرآة أمام والدهن أو إخوتهن الذكور.

ومن بين الإجراءات والاحتياطات التي تلجا إليها العائلة للحفاظ على قيمة العرض هي فصل البنات عن الذكور في سن مبكرة في اللعب والنوم، وتحذيرهن من مخالطة الرجال أو الخلوة بهم.

لذا فإن المواعدة أو إقامة البنت لعلاقة عاطفية مع أجنبي قبل الزواج يعتبر أمراً مستهجناً ومن العادات السلبية التي تنال من شرفها في الصميم، فالعلاقة الرومانسية قبل الزواج يساء فهمها ويعترض عليها الأهل، لأنها غالباً ما تؤدي إلى وصم الفتاة بالعار، وتتسبب رذيلة "العشق" في إلحاق الأذى وتمزيق الروابط الأسرية. (دياب، 1980، صفحة 277)

4.1.3. الروابط بين الإخوة : (بوتفنوشت، 1984، الصفحات 67-72)

أ. الروابط بين الإخوة الذكور: تتأثر الروابط الأخوية بعامل السن وما يفرضه من احترام ، حيث يتوجب على الأخ الأصغر أن يحترم أخاه الأكبر ولا يناديه باسمه إلا بإضافة كلمة "دادا" أولا، فالروابط بين الإخوة يسودها الود والاحترام طيلة فترة الطفولة ، وتتضح أكثر في مرحلة البلوغ، وإدراكهم لمظاهر فتوتهم نموهم الجنسي، حيث تمنع هذه التغيرات الجسمية الأشقاء الذكور من التسامر مع بعضهم والحديث حول هذه المسائل، لأنها ذلك قد يؤدي إلى قلة الاحترام وانتزاع الوقار والهيبة الواجبة بين الإخوة، لذا يحتفظ كل منهم بأسراره الشخصية ويتخذون من أبناء العمومة والأقارب الآخرين من نفس العمر أصدقاء مقربين، وقد كانت الأسر التقليدية تشجع الأبناء الذكور على أداء الصلاة معًا في المنزل والمسجد، والاستماع إلى الأحاديث والمواضيع الأخلاقية التي تعزز الترابط الأسري بينهم وتحفظ ودهم واحترامهم.

ب. الروابط بين الإخوة والأخوات: لم تكن هناك روابط وثيقة وودية بين الإخوة والأخوات في العائلة الجزائرية التقليدية فالأولاد يرتبطون بالرجال منذ نعومة أظفارهم، فيبدأ والدهم بتعليمهم واجباتهم المستقبلية وكيف يكونون مصدر فخر واعتزاز للعائل، ومن جهة أخرى تكون الفتيات أكثر ارتباطًا بأمهاتهن ويبدأن في تعلم الأعمال المنزلية مبكرًا استعدادًا لمهمتهن الأنثوية المستقبلية.

لذا يتم تربية الذكور منذ الصغر على عدم التعلق الشديد بأخواتهم ، وذلك لأنهم قد لا يستطيعون تحمل فكرة مغادرة هذه الأخت الأسرة عندما تتزوج ، مما قد يكون له تأثير نفسي سلبي، أما بالنسبة للأخوات المتزوجات، فإن الإخوة الأكبر سناً يظهرون الاحترام لأخواتهم الأصغر سناً ويدعمونهن في جميع المواقف والمشاكل التي قد تواجههن في حياتهن الزوجية.

2.3. تغير الرابط الأسري في الأسرة الجزائرية الحديثة:

لم تكن الأسرة الجزائرية الحديثة بمنأى عن التغيرات الثقافية والاجتماعية التي حدثت على المستوى العالمي، بل كانت في تفاعل دائم مع هذه التغيرات، و في محاولة مستمرة لمواكبة التطورات و التغيرات التي يشهدها العالم المعاصر في مختلف المجالات، خاصة في عصر الانفتاح الحضاري والعولمة المعلوماتية، لذلك فقد شهدت العديد من التغيرات التي أثرت على هويتها وخصائصها الثقافية والقيمية، وبالتالي على طبيعة روابطها الأسرية بين أفرادها.

فلم يعد الطابع الأسرة التقليدي الذي يميز المجتمع الجزائري اليوم هو الأسرة الممتدة، بل أصبحت الأسرة البسيطة أو الأسرة النووية هي الأكثر انتشاراً، خاصة في المدن الكبرى، وهذا لا يعني أن بنية الأسرة قد أصابها الخلل ، وإنما يفسر أن الأسرة تحاول التكيف مع التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع، ومن أهم التغيرات التي طرأت على الروابط في الأسرة الجزائرية الحديثة:

1.2.3.تقلص حجم الأسرة: أصبحت الأسرة الجزائرية الحديثة تتميز بشكل زواجي صغير يتكون من زوج وزوجة وأبناء غير متزوجين، وهي أسرة بسيطة تدير شؤونها بنفسها وتسعى إلى الاستقلالية و والانفراد و العزلة في مسكنها (لبديري، 2005، صفحة 54) فالأسرة النووية الحديثة هي نتيجة لانشطار وتفكك بنية الأسرة الممتدة تماشيا مع متطلبات تطور التحضر والتعليم، ويختلف هذا الشكل عن العائلة التقليدية من حيث أسلوب حياة الزوجين ، كما يتقلص حجم الأسرة النووية بسبب ضيق المسكن.

وتعتمد الأسرة الحديثة على الأجور المنتظمة للحصول على الدخل، بخلاف العائلة التقليدية التي كانت تعتمد في دخلها على الفلاحة والعمل الجماعي الذي ينخرط فيه كل أفراد العائلة وخاصة الأبناء الذكور، أما في الأسرة الحديثة فنجد اشراك المرأة في تحسين المستوى المعيشي والدخل، حيث تتلقى الفتاة مستوى معينًا من التعليم ولديهن الحرية في إعادة النظر في أدوارهن التقليدية واختيار نموذج عصري للحياة.

2.2.3.تغيير المكانة للمرأة الاجتماعية: تغيرت مكانة المرأة الجزائرية الحديثة فلم تعد تلك البنت أو زوجة المنعزلة والمتحفظة في حضرة الرجل داخل الأسرة، ولم تعد تحت إمرة وسلطة الأب أو الأخ أو الزوج أو الحماة بل أصبحت تتمتع بوضع جديد بفضل مكانتها الجديدة، وصار بإمكانها أخذ زمام المبادرة وإدارة حياتها بنفسها، فالمرأة في الأسرة الحديثة تحترم والديها وتطيعهما وتحاول أن تتجنب النزاعات الحادة مع أفراد الأسرة. (بوتفنوشت، 1984، صفحة 259)

ومن بين العوامل التي ساهمت في تغير مكانة المرأة في الأسرة الحديثة انتشار التعليم في الجزائر بشكل كبير مما ساعد المرأة الجزائرية على اقتحام مجال العمل و تحقيقها تقدماً كبيراً يتناسب مع تحسن مستواها التعليمي وارتقائها في سلم الدرجات العلمية.

وعندما دخلت المرأة سوق العمل وأدركت قيمتها الاقتصادية وأصبحت سيدة الموقف، أدركت أنها ليست مضطرة لتحمل القيود التي يفرضها الرجل، وقد دفعها ذلك إلى فرض شخصيتها الخاصة والتدخل في خيارات شريك حياتها، ورسم حدود في حياتهما الزوجية بل ومزاحمة الرجل على سيادة الرجل على المنزل.(الخشاب، 1985، صفحة 84)، وهذا ما أدى إلى التغير في طبيعة الروابط الأسرية بين الأب والأبناء لصالح الأم التي أصبحت تنازعه السلطة على الأبناء.

3.2.3. انحسار السلطة الأبوية: سلطة الأب في الأسرة الجزائرية الحديثة آخذة في الانحسار، مما أدى إلى تغير المفهوم السائد للأسرة وخصائصها ووظائفها وروابطها العامة ومراكز السيطرة والسلطة فيها، حيث بدأت تنحسر لصالح الأم المتعلمة والعاملة ولصالح الأبناء الذين يزاولون تعليمهم ويشاركون في صنع القرار وتسيير شؤون الأسرة. (عواشرية، 2003 ، صفحة 127)

وبذلك تغيّر وضع الأب الجزائري من الهيمنة داخل الأسرة إلى وضع يتسم بعدالة أكبر، ومن رئيس استبدادي تسلطي إلى رئيس تشاوري ديمقراطي، كما بدأت تتراجع هالة الاحترام والتبجيل التي كان يتمتع بهما الأب في السابق باعتباره الكفيل لضمان نقل القيم

الموروثة من الأجداد ، وفي مقابل ذلك أصبح الابن يتمتع بجزء من ذلك الاحترام بفضل تفوقه الدراسي ونجاحه المهني، وهو ما يعد نجاحًا وفخرًا لوالده أيضا (بوتفنوشت، 1984، صفحة 235).

وتراجع سلطة الأب في الأسرة الحديثة يعود أيضا لما تتميز به من فردية واستقلال ذاتي لأفراد هذه الأسرة، فالآباء مشغولون دائمًا خارج المنزل لتلبية متطلبات الحياة العصرية لأبنائه، والأمهات العاملات غالبًا ما يكون لديهن التزامات وارتباطات في مجال العمل بينما يبدأ الأطفال في الانخراط منذ سن مبكرة في بيئات خارج الأسرة مثل رياض الأطفال والمدارس وجماعة الرفاق و اللعب ووسائل الترفيه المختلفة وخاصة الألعاب الإلكترونية والإنترنت و مواقع التواصل الاجتماعي.

4.2.3.شيوع المادية وثقافة الاستهلاك: تتطلع الأسر الجزائرية الحديثة إلى مزيد من الحرية واستهلاك التكنولوجيا كمظهر من مظاهر التحضر والرفاهية، وهذه النزعة أخذت في الانتشار حتى في أكثر الأسر تواضعاً وفقراً، فتزايد اهتمام الأفراد بالمظهر والأناقة والملابس والأثاث المنزلي والزينة الحديثة والعناية بمواد الزينة والمظهر والاستهلاك التفاخري متجاوزين حدود دخل الأفراد مما يتسبب في إرهاق الأسرة ويثقل ميزانيتها ويعرضها للاستدانة أو القروض لتحقيق هده الرغبة الجامحة في استهلاك كماليات لم تكن لها حاجة من قبل

وهكذا، فإن الأسرة الجزائرية المعاصرة أصبحت تعطي قيمة للاستهلاك على حساب الإنتاجية، مما أدى إلى صعود النزعة المادية النفعية كتوجه ومظهر للسلوك، وتراجع قيمة الادخار والرضا بكفاف العيش و وتضاؤل قيمة العمل والإنتاج.

وتجدر الإشارة إلى أن التحول من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النواة في المجتمع الجزائري لا يعني الاستقلال التام للأسرة الزواجية الصغيرة عن الأسرة الممتدة الأم، إذ تُظهر شواهد كثيرة أن الأسر النواة في مجتمعاتنا الجزائري لا تزال تحتفظ بالروابط والانتماءات والولاءات للأسرية التقليدية، وهذا يتجلى أكثر في الأزمات أو النزاعات التي تهز كيان الأسرة النواة حيث تلجأ إلى تحكيم أفراد من الأسرة الكبيرة وفي الظروف الخاصة كالمرض أو الوفاة وفي المناسبات والأعياد.

أي أن الأسر النووية تبقى مرتبطة بالأسرة الممتدة نتيجة التمسك بالقيم والعادات والسلطة المعنوية الممتدة للوالدين على أبنائهم حتى بعد الزواج، فضلا عن الروابط الاقتصادية والاجتماعية حيث تحمي الأسر الممتدة الأسر الزواجية الفتية وتدعمها تمثلا بقيم التضامن والتآزر التي تتميز بها العائلة في مجتمعنا الجزائري (السويدي، 1990، صفحة 89)

الخلاصة:

تشكل التغيرات الثقافية و الاجتماعية وما يصاحبها من تغير في المواقف والسلوكيات والقيم تحديات تقف أمام التنشئة الأسرية السليمة للأبناء في الأسر العربية، كما تؤثر على الأساليب التربوية التي ينتهجها الآباء لنقل القيم الأسرية إلى الأجيال الشابة، حيث تلقي بظلالها على الروابط الأسرية ، وتخلق جواً نفسيا و اجتماعياً معيقا لنموهم ومعطلا لتكوين شخصياتهم وحائلا دون اكتساب هويتهم وقيمهم الأصيلة.

وهكذا يتضح أن المسؤولية التي تناط بها الأسرة العربية هي مسؤولية مضاعفة في ظل المتغيرات العالمية المعاصرة، وخاصة عولمة الإعلام، لذا في بحاجة إلى توضيح دورها والتكيف مع المستجدات والتغيرات العالمية، فهي الكفيل بضمان صياغة إنسان المستقبل.

فإذا نجحت الأسرة العربية و الجزائرية المعاصرة في تحقيق التوازن بين مواكبة الحاضر والتجذر في الماضي، وبين الأصالة والمعاصرة، فلا شك أن هذا التوازن سيكون الضمان الكفيل بحفظ استقرارها وتماسكها وارتقائها، أما إذا اختل واضطرب هذا التوازن فإنه سيعرض أفراد الأسرة لمخاطر الاستقطاب الحاد ما بين التبعية التامة للنموذج الغربي أو الانفراد والانعزال الكامل، بيد أنه في ظل العولمة الإعلامية وتورثي المعلومات وتكنولوجيات الاتصال الحديثة أضحى من المستحيل الانعزال والتقوقع عن جذب الحركة العالمية بما تحمله من ايجابيات وسلبيات.

وبالتالي، فإن الخيار الوحيد أمام الأسر الجزائرية والعربية هو مواجهة تغلغل واختراق الثقافات الأجنبية التي أصبحت تشكل تهديدا كبيرا للثقافات المحلية بالتشرذم والانصهار في قالب ثقافة عالمية واحدة مهيمنة، ويعرض الأفراد والأسر إلى أزمات عديدة وفي مقدمتها أزمة الهوية وما ينعكس ذلك على طبيعة الروابط الأسرية.

لذا يجب على الآباء في الأسرة الجزائرية الاهتمام بأبنائهم وتعليمهم القيم الصحيحة وتشجيعهم على تمثلها في سلوكهم ومواقفهم، ومكمن الخطر في أن الأطفال الجزائريين تكونت لديهم صورة عن الأطفال الأجانب على أنهم سعداء ومحبون ومتعلمون ويتمتعون بحياة مثالية، ونتيجةً لذلك، ينفر الأطفال منذ نعومة أظفارهم من مكونات هويتهم ويسعون لاستبدالها بهويات غريبة عنهم مما يضعف ولاءهم وانتماءهم لمجتمعهم وهويتهم الثقافية.

ويجب على المسؤولين في الدولة الجزائرية أن يعمدوا على أن تدرج التربية الإعلامية ضمن أولويات التربية و التعليم الحديثين في المؤسسات التربوية الجزائرية، إضافة إلى وضع قيود وحدود على الولوج إلى عالم الانترنت، ومراقبة ومتابعة تصرفات الأبناء والمراهقين والحرص على التعاطي الإيجابي للأبناء لتكنولوجيات الاعلام والاتصال الحديثة و خاصة استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي.

ويتوجب أن تلتزم باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالسهر على تنشئة جيل الشباب على روح الانتماء والولاء للأسرة وللمجتمع وللأمة الإسلامية، والاعتزاز بالدين الاسلامي وتمثل تعاليمه وقيمه في مختلف شؤون الحياة مما يعزز خصوصيتنا وهويتنا ويقوي روابطنا الأسرية و الاجتماعية.

الإحالات والمراجع:

الكتب:

- ابن منظور. (1999). *لسان العرب* (الإصدار 3، المجلد 1). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- أحمد كمال أبو المجد. (2002). *أزمة القيم ودور الأسرة في المجتمع المعاصر*. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.
- بيار بونت. (2006). *معجم الاثنولوجيا والانتروبولوجيا*. (مصباح الصمد، المترجم) لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع.
- زكريا بشير إمام. (2000). *أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم* (الإصدار 1). عمان: روائع مجدلاوي.
- طه عبد الرحمن. (2006). *روح الحداثة ، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية* (الإصدار 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون. (1999). *مقدمة ابن خلدون* (الإصدار 1). بيروت: المكتبة العصرية.
- عبد الوهاب المسيري . (2006). *دراسات معرفية في الحداثة الغربية* (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- عزت حجازي. (1987). *الشباب العربي ومشكلاته* (الإصدار 9). الكويت: مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- علي بن الحسن الهنائي. (1976). *المنجد في اللغة العربية* (الإصدار 2). القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- فتحي التريكي. (2010). *الهوية ورهاناتها ،،ط1،* (الإصدار 1). (نورالدين السافي، المترجمون) تونس : الدار المتوسطة للنشر .
- فوزية دياب. (1980). *القيم والعادات الاجتماعية*. بيروت: دار النهضة العربية.
- ماجد الزيود . (2006). *لشباب والقيم في عالم متغير* (الإصدار 1). الأردن: دار الشروق.
- مُحَمَّد السويدي. (1990). *مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- مُحَمَّد عاطف غيث. (1992). *قاموس علم الاجتماع* . الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- مصطفى الخشاب. (1985). *دراسات في علم الاجتماع العائلي* (الإصدار 1). بيروت: دار النهضة العربية.
- مصطفى بوتفنوشت. (1984). *العائلة الجزائرية، التطور والخصائص لحديثة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- معن خليل عمر. (1994). *علم الاجتماع الأسري*. الأردن: دار الشروق.
- نبيل علي. (2010). *محورية الثقافة في مجتمع المعرفة: رؤية عربية مستقبلية* (الإصدار 1). الكويت: كتاب العرب.

المقالات:

- السعيد عواشرية. (جوان ، 2003). الأسرة الجزائرية ...إلى أين ؟ . *مجلة العلوم الإنسانية*(19)
- عبد الله الجسمي. (يوليو، 2005). الهوية وثقافة العولمة . *المستقبل العربي*(560)
- مُحَمَّد إبراهيم عيد. (خريف، 2001). الهوية الثقافية العربية في عالم متغير. *مجلة الطفولة والتنمية، 1*(3).
- مُحَمَّد الذوادي . (نوفمبر، 1988). بعض الجوانب الأخرى لمفهوم التخلف الآخر في الوطن العربي. *الوحدة، 5*(50)
- مليكة لبديري. (2005). *الزواج والشباب الجزائري ،إلى أين؟* . الجزائر: دار المعرفة.